

والسواء لمعبودات مزيفة عديدة في يوم واحد! هذا ما وقع... لأنه لم يصدق تماماً بصحة وسلامة أي فكر من الأفكار في تلك الفترة المشؤومة. ولذلك، عاش مرتبطاً بمحاور فكرية متعددة في وقت واحد، لكنه لم يعايش تياراً واحداً منها معاً كاملة.

ومن يعلم كم فكر عظيم بقي حياً في برزخ، فلم يشهد الحياة، في هذا العالم المثقل بالدخان والضباب، وكم منهجٍ جادٍ تحطم مصطدماً بالأفكار الكدرة للمصايين بقصر النظر! فهؤلاء لا يولون أهمية ولا يعون معنى للعلم ولا للمعاني التي تربط بين الأشياء والحوادث، ولا للمناسبات بين الإنسان والكائنات.

فالمسألة عندهم أن نفهم ما نفهمه، ونترك ما لا نفهمه باعتبار أننا سوف ندرك فهمه لاحقاً! وأن نقطع ونفصل ونشكل كل شيء حسب ثوابتهم، وأنا نستطيع بمهارة أن نسير حتى العلم والأبحاث تحت وصاية معتقداتهم ومبادئهم المحرمة على النقاش، بإظهار حقائق أسطع من الشمس كأوهام، والأوهام كحقائق متى ما دعت الحاجة! وبالتشدد والتفهيق بأسلوب قاطع، والحسم والحزم بناء على فرضيات! وكأنهم شهود على الوجود وأطوار الوجود منذ البداية!

ولئن كانت الكائنات خالية من كل حقيقة تستحق الإيمان بها، ولئن كانت كل فكرة غير جديرة بالإيمان والقبول، فالوجود إذن عين الفوضى! وكيف نستطيع أن نحمي المجتمع من النسبية حتى في المسائل الفرضية غير المحتملة، إذا ما تحكّم في العالم فهم كهذا؟ أولن يحسب جموع البشر الذين استسلموا لتيار النسبية أصدق الحقائق صحيحة بقدر صحة مضاداتها؟ وأكذب الأباطيل بقدر كذب مضاداتها؟ وبدهي أن يخضع كل شيء للتلقّي النسبي الهائم، في حال